## شعر الغزال

نَظم الغَزالُ، في أغراض شَتى من الشّعر: الغَزل والهِجَاء والتعريض، والمَدْح، والوَصْف، والحكمة، والتأمّل في شؤون الحياة، وبَرزتْ مقدرته على مُعالجة النقد الاجتماعيّ في موضوعات متعدّدة، ومن أغراض الشاعر البارزة في شعره الباقي الهجاء والتعريض، وممّن أصابه هجاء الغزال: المغنّي زرياب، ونَصْر الخصيّ ذو النفوذ، ويبرز في شعر النقد الاجتماعي قضايا الغنى والفقر، وعلاقة الرّجُل والمَرأة، والألعاب المُلهية، واستغلال النفّوذ، وكان للشّاعر نَفَسٌ ممدودٌ في التعّبير عن ظُروفِ حياته.ومن شعره الساخر:

إذا أُخبرتَ عن رجل بريءٍ ... من الآفات ظاهره صحيحُ فإن

فَسَلْهُم عنه: هل هو آدميّ ؟ ... قالوا نعم فالقول ريحُ

ولكن بعضنا أهل استتار ... وعند الله أجمعنا جريح

ومن إنعام خالقنا علينا ... بأن ذنوبنا ليست تفوح

فلو فاحت لأصبحنا هروبا ... فرادى بالفلا ما نستريح

وولاه الأمير عبد الرحمن قبض الأعشار ببلاط مروان واختزالها في الأهراء استجابة لرغبة عبر عنها في إحدى قصائده . وفي ذلك العام ارتفعت الأسعار فباع الغزال كل ما لديه من مخزون، ثم نزل المطر ورخص الطعام، فلما علم الأمير بما فعله الغزال أنكره وقال: " إنما تعد الأعشار لنفقات الجند والحاجة إليها في الجهد فماذا صنع الخبيث؟ خذوه بأداء ما باع من أثمانها واشتروا به طعاما " ، وأبى الغزال ان يدفع ثمن ما باعه وقال: " إنما اشتري لكم من الطعام عدد ما بعت من الإمداد " ويشهد معاصروه انه كان قليل المال مهملا في الأمور المادية، وتدل حادثة بيعه للطعام أيام المجاعة حين ولي قبض الأعشار على انتهاز الفرص ليجد المال، وعلى تصرفه بما ليس له، وعلى تبديده المال الذي قبضه في وقت سريع. ويقولون انه كان مقبلا على اللهو ثم أقلع عن شرب الخمر بعد عودته من المشرق وكانت يومئذ قد علت به السن وشارف الستين، واتجه إلى الزهد عملا وقولا. وقد أورد له ابن عبد ربه قصيدة تدل على انه كان بعيدا من اللهو وانه لم ينقد للذاته أبدا، مطلعها لعمري ما ملكت مقودي الصبا ... فأمطو للذات في السهل والوعر وفيما يتحدث عن قناعته بشربة

ماء وبخبز وبقل دون لحم وانه لو عمر تسعين حجة ؟وقد عمر - ما اشتاق إلى الخمر والمزاهر، بل انه سمع من الناس ان الخمر مرة، ولم يذق لها طعما:

| | |
|---|---|
| وبالله لو عمرت تسعين حجة | إلى مثلها ما اشتقت فيها إلى خمر |
| ولا طربت نفسي إلى مزهر ولا | تحنن قلبي نحو عود ولا زمر |
| وقد حدثوني أن فيها مرارة | وما حاجة الإنسان في الشرب للمر |

فان كانت هذه القصيدة للغزال حقا، فأنها قد تغير النظرة إلى سيرته، وإلا فأنها مما قاله بعد ان نسك، على أننا نراه في رحلته يتعذر للملكة بان الخمر حرام في دينه، ولا يعتذر بكبر السن أو بما يقارب ذلك، ولا بد من ان نذكر دائما انه كان ميالا للمداعبة والفكاهة في كل أدوار حياته.شعره شاعر الأندلس المقدم ؟في نظري - على جميع شعراء هذه الفترة، وربما كان ابن شهيد أعمق منه ثقافة وأبصر بالنقد، وكلامه أشد أسرا ومما يميزه بين شعراء الأندلس ميزتان كبيرتان الأولى: قيام شعره على النظرة الساخرة، ووضوح نظراته الفلسفية القائمة على تجربيته، وهما خاصيتان عزيزتان في الشعر الأندلسي. فأما السخرية فأنها القاعدة الصلبة المتصلة بروحه الفكاهية، وهي لا تفارقه في أحرج المواقف أو في أشدها جدية، حتى في الغزل، في مثل قوله:

| | |
|---|---|
| وهي أدرى فلماذا | دافعتني بمحال |
| أترى أنا اقتضينا | بعد شيئا من نوال |

وقد ترفع هذه السخرية إلى مستوى المرارة في النظر إلى حقائق الحياة كقوله:

| | |
|---|---|
| قالت: أحبك، قلت: كاذبة | غري بذا من ليس ينتقد |
| هذا كلام لست أقبله | الشيخ ليس يحبّه أحد |
| سيان قولك ذا وقولك | إن الريح نعقدها فتنعقد |
| أو أن تقولي: النار باردة | أو أن تقولي: الماء يتقد |